أنا وهؤلاء

رئيس الاستخبارات العامة المصرية الأسبق فؤاد نصار يفتح خزانة أسراره

1
10

مدير سلاح الإشارة اللواء البرديني دافع عني وتحمل المسؤولية

رفضت تقبيل يد الملك احتراماً لقسم الولاء للجيش

تركت كلية الطب والتحقت بالكلية الحربية للانخراط في مقاومة الاحتلال الإنكليزي

والدي رفض التوسط لي فذهبت بمفردي إلى رئيس الأركان الفريق عطاالله

الجيش كان حكراً على أبناء الباشوات.. والنقراشي طرد والدي من الخدمة لعلاقته بالوفديين

اخترت سلاح الإشارة لضمان التواصل مع الضباط القادة

الملك فاروق مستقبلاً عدداً من ضباط عناصر الجيش بعد أدائهم قسم الولاء (أرشيف)

بقلم محمد ثروت

«أديت ما علي نحو وطني ولم أغير مواقفي ولم أطلب لنفسي مجداً شخصياً ولم أسع الى منصب طول حياتي لكن المناصب كانت تسعى الي وقد كنت أريد ان أعتزل الحياة العسكرية والعملية عام 1975 بعد ان حاربنا وانتصرنا وكان لي شرف المشاركة في صنع النصر مع رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا، لكن الرئيس الراحل انور السادات رحمه الله استدعاني لأواصل المسؤولية ووافقت ان أستكمل مابدأته من طريق شاق وعسير في سبيل نهضة بلادي والأمة العربية فعملت كأول محافظ للجزء المحرر من سيناء من عام 1976 الى عام 1978 ثم توليت منصب محافظ مطروح حتى شغلت منصب رئيس الاستخبارات العامة في أغسطس 1981 أي قبل شهر واحد من اغتيال السادات».

تلك هي الكلمات الأولى التي قالها اللواء فؤاد نصار رئيس المخابرات العامة المصرية الأسبق، وهو يتذكر أيام الانكسار والانتصار، جامعاً بين روح المقاتل وعقلية رجل الدولة المسؤول، حيث شارك في جميع حروب الصراع العربي الاسرائيلي، فضلاً عن اسهامه وقيادته لحرب العقول داخل الغرف المغلقة، عبر عمليات مهمة وخطيرة قلبت موازين الصراع العربي الاسرائيلي وقيامه بتوجيه رجال الاستخبارات الحربية ثم العامة للقيام بعمليات كثيرة خلف خطوط اسرائيل وفي قلب تل أبيب.

وللأمانة وللتاريخ أقول ان اللواء فؤاد نصار أحد رجال الصمت من نوعية زكريا محيي الدين نائب الرئيس الراحل جمال عبدالناصر الذي فضل الصمت عن تجريح الأشخاص ونبش القبور.

شاهد عيان

ولولا الحاحي على الوزير فؤاد نصار ليقول كلمته للتاريخ كشاهد عيان على أحداث لم يكن مجرد معايش لها بل كان أحد صناعها الرئيسيين وقد استطعت اقناعه بالكلام عن ذكرياته بعد سنوات من علاقتي بهذا الرجل النزيه الذي لم يأخذ من حطام الدنيا شيئا ومازال يعيش في شقة متواضعة مثل بقية أبناء الأسر المصرية المتوسطة، في بناية قديمة في أحد أحياء غرب القاهرة «حي العجوزة» وذلك لرفضه التام تخصيص أي مكان فخم ليعيش فيه، حيث تتلألأ الأوسمة والنياشين على جدران حجرة الصالون، وترتفع صورة الملك فاروق الأول وعليها توقيع بخطه للملازم ثان فؤاد نصار. فضلا عن عشرات الأوسمة المصرية والعربية والعالمية. بدءا من نوط الجدارة الذهبي لشجاعته في حرب فلسطين 1948 وميدالية فلسطين 1949، وميدالية محمد علي 1949 ونيشان التحرير 1952 ونوط الجلاء 1955 ونوط الاستقلال 1956 ونوط النصر 1957 ووسام الجمهورية المصرية1958 ونوط الجيش 1959 وميدالية العيد العاشر للثورة 1962 وميدالية القدوة الحسنة 1956 ووسام نجمة الشرف العسكرية 1974. لكن الوسام الأعظم كونه لم يلوث تاريخه بتعذيب أو أفعال خارجة عن كونه عسكريا منضبطا.

فتح اللواء فؤاد نصار قلبه وعقله ليسرد لنا أخطر أسرار حياته، والشخصيات التي عرفها عن قرب في حلقات مسلسلة كشهادة للتاريخ. ولكني لم أترك شهادته مجردة كغيرها من شهادات القادة والشخصيات التاريخية بل قمت بتحقيقها والحاقها بوقائع مؤيدة ووثائق لتكون مرجعا علميا موثقا للأجيال المقبلة.

.1

اسمي ابراهيم فؤاد محمد نصار وهو اسم مركب كعادة أهل مصر في الزمن الماضي. أما مسقط رأس عائلتي فهو مركز شبين الكوم في محافظة المنوفية بالوجه البحري وقد ولدت في 8 أكتوبر عام 1923 وقد نشأت في أسرة من الطبقة المتوسطة، كان والدي يعمل في وزارة الداخلية. وهو لم يكن ضابطاً ولكن في ذلك التوقيت، كانت هناك مناصب «للحقوقيين» أي خريجي كلية الحقوق داخل وزارة الداخلية، ويمكن ان يصبح هذا «الحقوقي» مأموراً أو وكيلاً لمديرية وهذا ما حدث مع أبي بالفعل.. وقد نشأت في محافظة الغربية وأصبح والدي مأموراً ثم وكيلاً للمديرية.. وكنا ننتقل مع الوالد حيث ذهب من الشمال الى الجنوب. وأثناء دراستي في المرحلة الابتدائية، انتقل والدي الى العمل في الصعيد، وتركنا سنوات طويلة، فكانت حياتي ونشأتي في المدارس الداخلية خاصة أثناء مرحلة الدراسة الثانوية، فلم تكن في الصعيد مدارس ثانوية الا في المحافظات الرئيسية وكان والدي مأموراً لمركز بني مزار. وخلال هذه الفترة انتقل والدي الى المنوفية حيث تم تعيينه، مأموراً لمركز شبين الكوم. وخلال هذه الفترة سقطت احدى حكومات الوفد برئاسة مصطفى النحاس باشا. وجاء السعديون الى الحكم. وكان والدي - بطبيعة عمله - على علاقة بجميع السياسيين سواء كانوا في الحكم أو خارجه. وكان والدي صديقاً لأحد أقطاب الوفد ويدعى خليل الجزار وكان دائماً ما يزوره في مكتبه. ووصل الأمر الى رئيس الوزراء وقتها محمود فهمي النقراشي باشا، فاتصل بوالدي تليفونياً وشدد عليه بان هذا الشخص لا يزوره في مكتبه مرة أخرى. وكان رد والدي طبيعياً، وقال للنقراشي: كنت أعتقد ان معاليكم ستسألني عن «تقصير» في عملي.. ولكني مطالب بأن أكون على علاقة جيدة بجميع الأشخاص مهما كانت انتماءاتهم السياسية.. والغريب ان رد فهمي النقراشي السياسي الكبير الذي تم اغتياله فيما بعد غريباً ومفزعا.. فقد قال لوالدي: «طيب خلاص روح بقى أقعد في بيتكم».

كان الرد قاسياً على والدي، وانعكس بالطبع علينا كأبناء، وعلى حياتنا.. واضطر والدي الى اقامة دعوى قضائية ضد الحكومة للعودة الى عمله مرة أخرى. وبالفعل حدث ذلك بعد مرور ثلاث سنوات كاملة، كان والدي خلالها بلا عمل.

وأذكر انه خلال دراستي، انطلقت شرارة ثورة الطلبة المعروفة باسم «ثورة 1935». وكانت أول مظاهرة من نوعها أشهدها في حياتي.. كانت الثورة في كل مكان.. وحديث كل فرد، وهو ما انعكس علينا كطلاب. فقد كانت محافظة أسيوط من المحافظات التي شهدت مظاهرات حاشدة، وهو ما كنت أتابعه يومياً مع زملائي، وقد اشتركت في بعضها بدافع حماسي بحثاً عن استقلال مصر الذي كان يمثل لنا أملاً يتوق كل المصريين الى تحقيقه.

وقد أتممت الدراسة الابتدائية في مركز بنى مزار في صعيد مصر عام 1934، ثم عدت الى شبين الكوم لأحصل منها على شهادة الثانوية العامة من القسم العام سنة 1939 ثم شهادة القسم الخاص أو البكالوريا عام 1940.

الكلية الحربية

وكنت أتمنى الالتحاق بالكلية الحربية. وكانت وقتها لا تقبل دفعات جديدة، وكان مجموعي يدخلني كلية الطب. فالتحقت بها وكان معي في الدفعة د. ابراهيم بدران وزير الصحة الأسبق. ومكثت في كلية الطب سنة واحدة فترة الاعدادي وفي السنة الأولى طب فتحوا باب الالتحاق بالكلية الحربية فقررت التقدم للالتحاق بها، وكانت مصر وقتها مستعمرة لجنسيات مختلفة وكان الانكليز يرتعون في البلاد دون أى قيد أو رابط يمنعهم فأحسست انني غريب في بلادي. فذهبت الى والدى وكان وقتها يعمل وكيلا لمديرية محافظة البحيرة. وقلت له : أريد الالتحاق بالكلية الحربية. فقال لى : تروح الحربية تعمل ايه « خليك فى كلية الطب أحسن «. فقلت له أريد ان أدافع عن بلادي وأكون في مقدمة الصفوف ضد الاحتلال فكان والدي يرفض بشدة ولكنه أمام واصراري وافق، بشرط ألا يتوسط لي. رغم معرفته بالفريق ابراهيم عطا الله باشا رئيس أركان الجيش المصري وقتها لانه كان من محافظة البحيرة التي كان والدي يعمل بها.

وقد اجتزت جميع اختبارات الكلية الحربية ونجحت في الكشف الطبي حتى وصلت لما يعرف بكشف الهيئة وهو عبارة عن مقابلة شخصية، فذهبت الى مقر وزارة الدفاع في كوبري القبة وقلت للحراس: انا ابن فؤاد نصار وأرغب فى مقابلة الفريق ابراهيم عطا الله باشا، وفعلا سمحوا لي بمقابلته، وعندما قابلته رحب بي وقلت له ان والدي رفض التوسط لديك من أجل دخولي الكلية الحربية، فجاء هذا الكلام على هواه. وأعطاني تأشيرة بالموافقة على التحاقي بالكلية الحربية.

والغريب انه عندما كنت طالبا جديدا في الكلية الحربية وقعت حادثة 4 فبراير عام 1942 وقد تأثرت كثيرا بهذا الحادث، الذي أعتبره اعتداء على السيادة الوطنية المصرية، لقد كان هدفي الذي صممت من أجله على الالتحاق في الكلية الحربية، هو مقاومة الاحتلال الانكليزي بأي وسيلة، وكنت أراهم يعيثون في مصر فسادا ويتدخلون في شؤونها الداخلية ولم أكن كبعض الذين التحقوا بالكلية الحربية لاعجابهم بالزي والبنطلون الأحمر فقد كنت ودفعتي من ابناء الطبقة الوسطى التي دخلت - الى الكلية الحربية بعد فترة منع لان الكلية لم تقبل أحداً في أثناء الحرب العالمية الثانية من سنة 1940 الى سنة 1942 وعندما بدأت قبول الطلاب سنة 1942 بدأوا يقبلون أبناء الطبقة المتوسطة وبعضا من عامة الشعب لان أبناء الطبقة الراقية من أبناء الباشوات لن يحاربوا، وبالتالي أصبحت هناك قناعة لدى القيادة بضرورة قبول أبناء الطبقة المتوسطة.

الخمسة الأوائل

وفي عام 1944 كانوا يريدون تخريج دفعات جديدة بعد فترة اغلاق ولذلك أمضيت عامين كاملين في الكلية الحربية بدلاً من ثلاثة أعوام، وعندما تخرجنا كنت من الخمسة الأوائل، فأقام الملك فاروق الأول حفل تكريم لنا في حديقة قصر عابدين. وعندما انتهى الحفل وجدت الملك واقفاً وهو متكئ بيده اليسرى على عصاه، ويرتدي قفازاً، كل من يخرج من الحفل يقبل يده، لكنى سلمت عليه ولم أقبل يده، وأثناء عودتنا الى سلاح الاشارة في اليوم التالي قابلت مدير سلاح الاشارة اللواء البردينى رحمه الله.. فقد تعلمت منه الكثير، فقال لى: ماذا فعلت بالأمس مع الملك فاروق؟ فقلت له انا لم أدخل الجيش كي أقبل يد الملك، ولكنى التحقت به لمقاومة الانكليز. فقال لى ابراهيم باشا عطا الله: استدعاك لمقابلته، فلا تنطق بكلمة وانا سأتولى الرد عنك. وفعلاً ذهبنا لمقابلة الفريق عطا الله، فقال لى: انت بتشتغل فين؟ أجبته: فى الجيش. فرد عطا الله بحسم: بل جيش مولانا. لماذا لم تقبل يد مولانا الملك؟ فلم أعقب ولكن البردينى رد قائلاً: انها غلطتي، لاني لم أعلمه ذلك في جيش مصر. وهنا قال لي ابراهيم عطا الله: اتفضل اخرج بره. فأديت له التحية ومضيت عائدا للسلاح.

منذ تخرجي في الكلية الحربية عام 1944، كان هناك تقليد متبع مع أوائل الخريجين، وهو الاستجابة لطلبهم في السلاح الذي يختارونه للعمل به.. أما السر في اختياري لسلاح الاشارة فهو انه سلاح فني، وانا أحترم الناحية العلمية، اضافة الى ان هذا السلاح من يعمل به حتى كان ذو رتبة صغيرة فان باستطاعته ان يعمل مع قيادات الجيش، لان سلاح الاشارة يخدم القيادة. وكما هو معلوم فان سلاح الاشارة لا يخرج منه قائد جيش أبدا.. فمنذ التحاقي بهذا السلاح، وانا ضابط صغير تعاملت مع الرتب كافة على مستوى القيادة وهذا أفادني كثيراً في حياتي.

سلاح الإشارة

وأتذكر انه في فترة الثلاثينات والأربعينات كان سلاح الاشارة فى الجيش المصري عبارة عن مساعدين «صولات» انكليز وصف ضباط، يقومون بالتعليم ولا توجد اية «معدات» ولا أجهزة بل كانوا يعملون بالبيرق والراية والمصباح، وكانت هذه هي الوسائل المتاحة في سلاح الاشارة المصري. وكان السلاح يملك جهازا واحدا كبيرا جدا بحجم مائدة الطعام اسمه جهاز «لاسلكي رقم 9» وهو عبارة عن جهاز قديم لا قيمة له، وكان هذا الجهاز هو الوحيد في سلاح الاشارة المصري، وللحقيقة.. وللتاريخ، فان تطوير هذا السلاح يرجع الفضل فيه الى ضابط اسمه أمين شاكر فقد كان برتبة ملازم أول مدرس بالمدرسة عندما التحقت بسلاح الاشارة كان يدرس لنا نظريات اللاسلكي، وتعلمنا فيما بعد ما معنى «لاسلكي» وماذا تعني نظرياته.. المهم ان أمين شاكر أحضر لنا كتابا انكليزيا وكان يترجم أجزاء منه، وبدأ يعطينا محاضرات فأعجبت بالطريقة واستأذنته وأصبحت أستعير منه الكتاب وأقوم بالترجمة منه.

وكانت هذه أول مرة في تاريخ الجيش المصري يتم تدريس نظريات لاسلكي وكان ذلك في الفترة بين عامي1944 و1945. وبعد ان أمضينا في الفرقة قررت القيادة ان تكون مادة النظريات اللاسلكية مادة رئيسية لضباط الاشارة، ويقوم بتدريسها الملازم أول أمين شاكر والملازم فؤاد نصار. وبالفعل بدانا بالتدريس للضباط في دورات مادة النظريات اللاسلكية - وكانت القيادة في ذلك الوقت تصرف للمدارس علاوة تدريس قدرها جنيهان - وكان عدد ضباط الاشارة في الجيش المصري كله 38 ضابطاً فقط. وتسلمت راتبي مدة 3 شهور متتالية من دون ان يكون من بين مفرداته الجنيهان فذهبت الى أمين شاكر وسألته عن علاوة التدريس.. أليست من حقنا؟ فقال لي انهم يجمعونها ويعطونها للضباط بالأقدمية المتزوجين فقط - وكان وزير الحربية ابراهيم عطاالله - فذهبت انا وأمين شاكر « الذى شغل فيما بعد منصب مدير مكتب الرئيس جمال عبدالناصر « الى رئيس الأركان وقلنا له نحن نريد صرف علاوة تدريس الاشارة.. فقال «انتم حتصرفوها في كلام فارغ بكرة.. لما تتجوزوا حتاخذوا كل حقوكم لاننا عائلة واحدة ولما تتجوزوا حنبقى نقسم العلامة»، قلنا له «ولكن هذا حقنا ونريده»، فأخذنا ودخلنا على المدير -رحمه الله- وكان معنا قائد المدرسة، وعرضنا عليه الأمر فقال للقائد: ألم تقل لهم اننا عائلة واحدة وان العلاوة يتم تقسيمها على الضباط المتزوجين بالأقدمية؟ فرد عليه نعم قلت لهم.

وساله ماذا قالوا؟ فقال: انهم قالوا «نحن نريد العلاوة برضه». فقال المدير «علاوة التدريس دي علشان هم بيقوموا بالتدريس في المدرسة؟». فقال القائد: نعم. فرد المدير قائلاً لأمين شاكر «خلاص انت تروح بورسعيد»، ونظر الي «وانت تروح اسكندرية. خلاص الموضوع اتحل».

جنود بريطانيون يفتشون شيوخ الأزهر (أرشيف)

الدراسة النظرية لم تمنعنا من ترجمة الكتب والاطلاع على أحدث أجهزة اللاسلكي

البيرق والراية والمصباح فقط كانت الوسائل المتاحة في سلاح الإشارة المصري أيام الملك